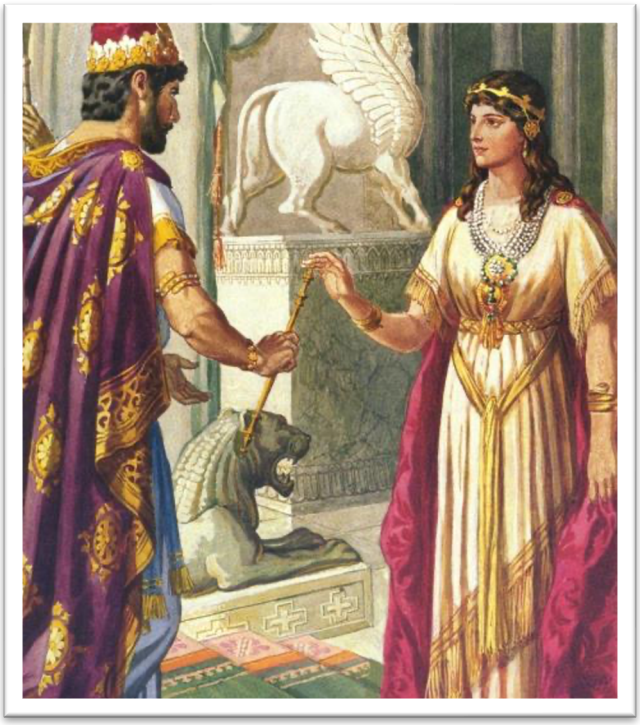

سفر أستير
"سفر العناية الإلهية"

٤

الأصحاح الرابع

"بِالإِيمَانِ: .. تَقَوَّوْا مِنْ ضُعَفٍ" (عب ١١:٣٤)

جلس الملك الضعيف 'أحشويرش' يحتسي الخمر برفقة هامان الشرير، غير مبالٍ بالاضطراب الذي ملأ المملكة، فمصير ما يقرُب من خمسة عشر مليوناً من اليهود قد صار في مهب الريح، أولئك المبعثرين في كل مملكة فارس الممتدة من الهند إلى كوش (أس ١: ١)، تتعالى الصرخات في كل مكان تواجد فيه يهودي، فقد صدر الأمر بالإبادة، الأمر الذي لا يُغير بحسب سُنن فارس ومادي (١: ١٩) فإلى من الهرب؟ وأين طريق النجاة؟
بحسب المنظور لا يوجد، فحتى لو قرر أحدٌ منهم الرحيل أو التحرك لمكانٍ آخر فلن ينجو، لأن المنطقة المحيطة كلها هي أيضاً تحت نفس الحكم.

ما هو رد فعل اليهود آنذاك؟
تهديدات الملك أنشأت في داخل المجتمع اليهودي مناحة عظيمة، صوم، بكاء رماد، فهناك إبادة جماعية تنتظرهم في خلال أيام.. ونتساءل هنا أين الصلوات التي رُفعت؟؟ ماذا عن مردخاي؟
هذا الرجل الشجاع الذي رفض السجود لهامان، يتحرك فوراً غير خائف من غضب الملك (عب ١١: ٢٣) لم يخف توبته، فحين صرخ صرخة مسموعة في كل المحيط، ومزق ثيابه كشف المسوح التي كانت تعبر عن التوبة والحزن الداخلي... وقد كانت عادة اليهود في أوقات الآلام والحزن أن يلبسوا المسوح، فها هو يعقوب يُمزق ثيابه ويضع مسحاً على حقويه حين علم بموت يوسف (تك ٣٧: ٢٩، ٣٤)، وحين انكسر يشوع أمام عاي مزق ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض (يش ٧: ٦)، ولاحظ معي الفرق بين الحزن في العهد القديم، وما جاء في العهد الجديد.. فنحن لا نحزن كالباقيين الذي لا رجاء لهم (١ تس ٤: ١٣)، وإن كان على أحد مشقات فليصل (يع ٥: ١٣)، والسبب أن الرب يسوع في صليبه حمل أحزاننا وتحمل أوجاعنا (إش ٥٣: ٤).

أما عن صرخة مردخاي فهي أيضاً إعلان بشجاعة عن رفضه لأوامر الملك الذي أمر بإبادة جنسه، ولما كان من المستحيل أن يظهر أمام الملك بلباس المسوح.. وهو يعمل في بوابة الملك، فحين نقلت أخبار إلى ملكة القصر عن طريق جواريها، أرسلت له ثياباً لأجل نزع مسحه.

ماذا فعل مردخاي؟
رفض، ومرة أخرى كأنه يردد كلمات رسالة العبرانيين عن موسى **"مُفَضِّلاً بِالأَحْرَى أَنْ يُذَلَّ مَعَ شَعْبِ اللهِ..."** (عب ١١: ٢٥).

ما هو موقف أستير حينئذ؟؟
١. لم تسكت أستير لأنها أرادت أن تعلم شيئيين ماذا؟ ولماذا؟ وهذا تعبير يدل على جهلها الشديد بما يحدث خارج القصر.
٢. أرسلت له الخصي "هتاخ" لتستعلم عن الأمر

"الاحْتِمَاءُ بِالرَّبِّ خَيْرٌ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى إِنْسَانٍ" (مز ١١٨: ٨)

أرسل مردخاي لأستير صورة كتابة الأمر لإهلاكهم، وأوصاها أن تدخل إلى الملك، وتتضرع إليه وتطلب منه لأجل شعبها، ربما جال بخاطره ما حدث من قبل لإبراهيم حين وقف يتضرع متشفعاً أمام الله لأجل مدينة سدوم (تك ١٨: ٢٤) أو ربما سمع عما فعله عزرا ونحميا ودانيال من صلوات تشفعية أمام الله الحي لأجل الشعب.
ولكن هيهات.. فهناك فرقاً كبيراً بين سيد الأرض كلها (مز ٩٧: ٥)، صاحب عرش النعمة (عب ٤: ١٦) الذي يفتح بابه ليلاً ونهاراً ولا ينعس ولا ينام، ولكنه يسمح لنا بالدخول إلى حضرته في كل وقت.
ها هي أستير تخيب رجاء مردخاي معتذرة أنها لن تقدر أن تدخل لحضرة الملك، ولمدة ثلاثين يوماً.. وهنا تنفتح عيني الإيمان لمرخادي.

استرداد القوة الروحية

وعلى قدر ما حملت كلمات أستير من مرارة لحنكه وشقاء لعينيه بل ولقلبه ولكنها في نفس الوقت حملت انتباهاً لروحه فحدث تحول جذري في تفكير مردخاي.. ويعود يرسل رسالة جديدة تحمل كلمات الثقة في إله الرجاء. إله الإنقاذ. إله النجاة.. ذاك الذي قال عنه الرسول بولس **"الَّذِي نَجَّانَا مِنْ مَوْتٍ مِثْلِ هذَا، وَهُوَ يُنَجِّي"** (٢ كو ١: ١٠). سنرى معاً

أول الأصحاح	آخر الأصحاح
• نوح بكاء صراخ ومسوح	• بطل في الإيمان (لماذا؟)
• إحساس بالكارثة القادمة	• كلمات تكشف عن ثقة وإيمان لا يتزعزع
• ضياع للأمل الوحيد في مساعدة أستير	• إحساس باليقين أن إله النجاة لن يعجز

السؤال هنا: لماذا سقط مردخاي في فخ عدم الإيمان؟
نسى إله العهد. إله المواعيد.. نسى كلمات الرب أن إسرائيل لن تمحى من أمام الرب (٢ مل ١٤: ٢٧)، (إر ٣١: ٣٥ ـ ٣٧)..
اعتبر مردخاي أن كلمة الملك أحشويرش أمرًا نهائياً. وكيف يكون ذلك؟ **"مَنْ ذَا الَّذِي يَقُولُ فَيَكُونَ وَالرَّبُّ لَمْ يَأْمُرْ؟"** (مرا ٣: ٣٧)، أنه **"الْعَلِيَّ مُتَسَلِّطٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ"** (دا ٤: ١٧).

الطريق إلى استرداد القوة هو التمسك بالوعود
وبكلمة الرب ...
عدم الإيمان ينشأ من إهمال الكلمة والنظر للعيان

أما سر التحول المفاجئ غالباً لأنه صُدم في أستير وردها، فبعد أن عاش أربع سنوات يحصد ما زرعت يداه في حياة ابنته بالتبني (أستير) فقد كانت تكن له ولاء وطاعة وتقدير عميق.. وفي أوقات الراحة عادة ما نلقي جانباً ترس الإيمان أو منطقة الحق، فربما تملكه شعور بالأمان حين اعتلت أستير العرش، وحين يحيط بنا الأمان الزائف، يُقلل الشعور بالاحتياج للرب... ولكن لا بد أن تهب الرياح وتسقط الأمطار وتأتي السيول (مت ٧:٢٥) فهل سيسقط البيت أم هو مبني ومؤسس على صخر الدهور.

الإيمان هو **العلاج الفوري** لإنقاذ مردخاي، دخل الموقف بلا رؤية وخرج متشدداً كأنه يرى من لا يُرى (عب ١١: ٢٧). وأرسل كلماته الحاسمة والتي تحمل إيمانًا قويًا بالإنقاذ.

"لاَ تَفْتَكِرِي فِي نَفْسِكِ أَنَّكِ تَنْجِينَ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ دُونَ جَمِيعِ الْيَهُودِ لأَنَّكِ إِنْ سَكَتِّ سُكُوتًا فِي هذَا الْوَقْتِ يَكُونُ الْفَرَجُ وَالنَّجَاةُ لِلْيَهُودِ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ، وَأَمَّا أَنْتِ وَبَيْتُ أَبِيكِ فَتَبِيدُونَ. وَمَنْ يَعْلَمُ إِنْ كُنْتِ لِوَقْتٍ مِثْلِ هذَا وَصَلْتِ إِلَى الْمُلْكِ؟" (أس ٤: ١٣، ١٤)

١. **لا تفتكري في نفسك:** يحذرها من الأنانية، وإهمال احتياجات الآخرين فهو بمثابة أب وقائد روحي لها ويعلم جيداً خطورة المشكلة، وكأنه يُذكرها بنصائح سفر الأمثال **"مُحْتَكِرُ الْحِنْطَةِ** (الأناني) **يَلْعَنُهُ الشَّعْبُ.. ، أَنْقِذِ الْمُنْقَادِينَ إِلَى الْمَوْتِ، وَالْمَمْدُودِينَ لِلْقَتْلِ ... إِنْ قُلْتَ: «هُوَذَا لَمْ نَعْرِفْ هذَا»، أَفَلاَ يَفْهَمُ وَازِنُ الْقُلُوبِ؟"** (أم ١١: ٢٦، ٢٤: ١١، ١٢)، أما إشعياء فتنبأ بالويلات لمن لم يهتموا باحتياجات الآخرين فيقول: **"وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَصِلُونَ بَيْتًا بِبَيْتٍ... تَسْكُنُونَ وَحْدَكُمْ فِي وَسَطِ الأَرْضِ"** (إش ٥: ٨).

وهنا نتذكر توصيات الرب يسوع **"أَعْطُوا تُعْطَوْا..."** (لو ٦: ٣٨)، أما كنيسة مكدونية أولئك الذين أعطوا من تلقاء أنفسهم، أعطوا حسب الطاقة وفوق الطاقة (٢ كو ٨: ٣).

٢. **أنك تنجين في بيت الملك دون جميع اليهود:** يذكرها مردخاي أن الله الذي هو أعظم من الكل، أعظم من أحشويرش ومرسومه بقوته واقتداره سوف ينجي اليهود.

أما أسوار القصر الملكي فلا تُعطي أمان، لأن المرسوم الملكي لم يستثني أحد من اليهود أي أن أستير ستواجه نفس المصير، ولأن هذا القصر قد شهد عزل ملكة سابقة (وشتي) لأنها عصت أوامر الملك، فلا أمل في نجاة أستير، فقد ترحل كسابقتها.

٣. **إن سكت سكوتاً في هذا الوقت يكون الفرج والنجاة لليهود من مكان آخر:** سكوتها لن يعطل عمل الله لإنقاذ شعبه.. لاحظ معي كيف لمع إيمان مردخاي في إله النجاة، إله الإنقاذ، وعلم في قلبه أن الله يُغير الأوقات والأزمنة، فقد يشق في البحر طريق لأجل إنقاذ مفديه، ولا يعدم وسيلة أو طريقة لأجل إتمام مقاصده، فعنده للموت مخارج، ولكنه يقول لأستير لو اعتذرت عن دورك وخذلتينا في هذا الوقت العصيب، فعند الرب حلاً شاملاً بل وسيأتي العون من مكانٍ آخر.. ونرى هنا الإيمان الذي ملأ قلب مردخاي، فقبل أن يرى حلاً **"يَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ"** (رو ٤: ١٧). لم يسلك بالعيان بل بالإيمان يقول لها: "يكون هناك نجاة" نعم ليكن الله صادق وكل تهديدات كاذبة وكأنه يسمع كلمات الرسول بطرس **"فَمَنْ يُؤْذِيكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِالْخَيْرِ؟ ... وَأَمَّا خَوْفَهُمْ فَلاَ تَخَافُوهُ"** (١بط ٣: ١٣، ١٤)، لأن **"يَدَ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ، وَلَمْ تَثْقُلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ"** (إش ٥٩: ١).

٥. **أما أنت وبيت أبيك فتبيدون**.. ربما رأى مردخاي أن تقاعس أستير عن أداء دورها سيعرضها للخطر.. فخطة الله الصالحة ستتم بها أو بدونها، ولكن حصاد التراجع سيكون قاسيًا. وليس هذا جديد في تاريخ شعب الله، فتسمع دبورة ترنم بعد انتصارها فتقول: **"اِلْعَنُوا مِيرُوزَ قَالَ مَلاَكُ الرَّبِّ. اِلْعَنُوا سَاكِنِيهَا لَعْنًا، لأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا لِمَعُونَةِ الرَّبِّ."** (قض ٥: ٢٣). **"فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا وَلاَ يَعْمَلُ، فَذلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ"** (يع ٤: ١٧).

رسالة ختامية حاسمة

"وَمَنْ يَعْلَمُ إِنْ كُنْتِ لِوَقْتٍ مِثْلِ هذَا وَصَلْتِ إِلَى الْمُلْكِ؟"(أس ٤:١٤) يُحدث مُردخاي أستير فيقول لها انتبهي واصغ جيداً قد سمحت عناية الرب أن تكوني في هذا المكان لأجل قصد إلهي.. فحياة أولاد الله لا يوجد فيها مصادفات، ولكن يد القدير ترتب كل شيء بعناية فائقة.. ألا تتذكري ما حدث مع يوسف وأخوته، ألم تقرأي كلماته **"لأَنَّهُ لاسْتِبْقَاءِ حَيَاةٍ أَرْسَلَنِيَ اللهُ قُدَّامَكُمْ"** (تك ٤٥: ٥)، هل علمت كلمات الحكيم **"عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ خَيْرٌ، إِلاَّ أَنْ يَفْرَحُوا وَيَفْعَلُوا خَيْرًا فِي حَيَاتِهِمْ"** (جا ٣: ١٢).

ماذا فعلت أستير حين وصلتها تلك الرسالة؟

طلبت المساندة **بالصوم**، كانت تعلم جيداً أن **الأصوام هي الطريق للإعداد للأمور الروحية وحسم المعارك**، فلم تنس أن عزرا صام من أجل قيادة للإنقاذ من العدو (عز ٨: ٢١ ـ ٢٣)، ودانيال (٩: ٣)، وداود (مز ٣٥: ١٣)، فالقلب المنكسر والمتواضع

لا يرذله الله، مسألة حياة أو موت تستحق أن يترك الإنسان كل شيء ليتضع أمام الله الذي يُعطي المتواضعين نعمة أعظم، بل ويقاوم المستكبرين (١ بط ٥: ٦)، علمت جيداً أن حزقيا وجه وجهه إلى الحائط وصلى، سمع الرب صلاته ورأى دموعه (إش ٣٨: ٥). وحين آمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم.. ورأى الله أعمالهم ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه (يو ٣: ٥، ١٠).

هل توجه قلبك أنت نحو الرب طالباً وجهه بصوم وصلاة وتضرعات حتى يغير الأوقات والأزمنة؟

أسئلة للدراسة الشخصية

"كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبَّهُ بِرَجُل جَاهِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ" (مت ٧: ٢٦)، في دراستنا هذا الأسبوع اقتربنا من مضمون هذه الآية.. أين وما هو الشاهد إذا قارنا (نح ٣: ٥، ٩: ٣٥، لو ١٢: ٤٧). فهل تصل للمعنى بالكامل؟

"لاَ تَفْتَكِرِي فِي نَفْسِكِ" يتكلم عن الحوار الذاتي الذي ينشأ داخل النفس وأحيانًا يكون مدخلاً لمخاوف يأتي بها عدو الخير.. هل تجد هذا المعنى في الشواهد الآتية (١صم ٢٧: ١، ٧، ٢ مل ٥: ١١، مز ٧٣)

الشاهد الأسبوعي للتأمل والصلاة

"لاَ تَمْنَعِ الْخَيْرَ عَنْ أَهْلِهِ، حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةِ يَدِكَ أَنْ تَفْعَلَهُ" (أم ٣: ٢٧)